التكريمُ لونٌ من ألوان الشّكر



1- تكريمٌ في الحياة.

2- تكريمٌ بعد الوفاة.

والثاني - كما يُعبّر مرتضى المطهّري - هو من سمات الأُمم الميّتة أو المتخلّفة، التي تنتظر موت كبارها، ورحيل عباقرتها، وغياب مُبدعيها، وانطواء صفحات العاملين المُصلحين، أو المفكّرين المُجيدين، حتى تقيم لهم (حفلات التأبين) بدل (حفلات التكريم)، وتنصب لهم (تمثالاً) حديدياً أو برونزياً، وهي قلّما اكترثت بحياتهم، وبعطائهم أبّان حياتهم.. وهذا النوع من التكريم وإن مَثّل حالةً من رفع العتب، هو تكريم في الوقت الضائع، أو حيث لا ينتفع به المُكرّم إلّا أنّ مُذكّرَ الأحياءُ به وبمنجزاته وآثاره.

وقد لا يحتاج المُصلح المُخلص، والعامل المُجتهد، والمُبدع المُجيد، والفنّان الماهر، والأديب البارع، إلى حفلات تكريم يُقدّم له فيها وسام أو درع، أو كلمات ثناء وإطراء، إلّا أنّ الذين

يُكرّ ِمون يتحمّلون مسؤولية الإشادة بالإنجاز العظيم، والافتخار بالعطاء الكريم، أي إنّهم - بتكريمهم للمُكرّ َم أيّا ً كان - إنّما يشكرون ا تعالى على أن أنعم عليهم برجلٍ أو امرأةٍ قدّ َما لها الأفضل والأروع والأنفع لحياتهم، مثلما يشكرون عطاء المُبدع على طريقة (ردّ السلام) أو (مقابلة الإحسان بالإحسان)!

إنّ وردة تُقدّ َم لحيّ أكرم الحياة بعطاياه، خيرٌ من باقات الزّ ُهور تحوط قبره.. وإنّ كتابا ً يُهدى إليه، أفضل من كلّ ِ كُتُب الشّ ُكر والتكريم بعد حياته.. وإنّ كلمة طيّ ِبة تُقال له تثمينا ً لمواقفه وعطاءاته، قد يكون لها من التأثير الفاعل في مزيد من العطاء، أكثر من كلّ ِ قصائد الإشادة والتمجيد بعد رحيله. يقول الشاعر:

لا ألفِيَنّ َكَ بَعدَ الموت تَندُبُني وفي حياتي ما زَوّ َدتَني زادي!

إنّ تكريم الأحياء للأحياء هو بعضٌ من الشعور الحيّ بالحياة وبمن يثري الحياة، بل هو تكريمٌ للمُكرّ ِمين أنفُسهم، على طريقة (أُهنِ ّأ ذاتي) أو (نُهنّ ِئ أنفُسنا) لأنّنا حظينا برجل عظيم مثلك!

وحفلة تكريم الحيّ يُفترض أن لا تكون على طريقة الشاعر:

أَتَت وحياض المَوتِ بيني وَبَينهَا وجادت بوصلٍ حيث َلا ينفعُ الوَصلُ!

أي ينبغي أن لا يُكرّ َم المُبدع والمُصلح والعامل وهو قاب قوسين من القبرِ وأدنى، لأنّ هذا والتكريم بعد الموت شبيهان أو متقاربان، إذ ما يمنع تكريم الشاب أو الشابّة في ريعان شبابهما على تميّزهما في أيّ من مجالات العطاء والإبداع، دفعا ً للحماسة، ودفعا ً لعطاء أعلى وأرقى، ما يمنع أن يُكرّ َم الإنسان الذي كَرّ َس حياته في خدمة وطنه وأبناء وطنه أكثر من تكريم، ما يمنع أن تتحوّ َل (ثقافة التكريم) إلى عُرف اجتماعي يُكرّ َم فيه كلّ عطاء وإبداع وإنجاز ومفخرة إنسانية.

ولو لاحظنا كيف أنّ المُبدعين أو العاملين المُخلصين يحتفظون بأوسمة التكريم ودُروعه وكُتُبه في أماكن بارزة من واجهات مكتباتهم وغرفهم الخاصّة، أو في عياداتهم، أو في معارضهم الشخصية، لعرفنا أنّ المُكرّ َمَ في حياته، كما يعتز بأساتذته وبكُتُبه التي تَعلّ َم منها، وكُتُبه التي ألّ َفها، أو لوحاته التي أبدعها، أو فعّالياته الكبيرة التي أنتجها، يفتخر بهذه الألوان التكريمية التي

تعتبر (شهادات فخريّة) من لدن أُناس أوفياء، انتفعوا بعطاء القائد، أو المربّي، أو المعلّم، أو العالم، أو الكاتب، أو المُصلح، أو القائد، أو العامل، أو الشهيد.. إنّها تُذكّره أنّ (جميلَه) قُوبِلَ ذات يوم بـ(جميل)، وأنّ قومه كُرماء عُرفاء يعرفون قيمة العطاء والمُعطي فيُكرّمونهما.